باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزيّ (المودة)

خسر عُدَاةُ الزيّ وساء فأل مقاوميه فان سلطانهُ على الناس فائقٌ وسؤددهُ على العقول عظيم ولقد اصاب من اتخذهُ مقياساً للشعوب في الحضارة فان الكل يأتمرون بامره وينتهون بنهيه ولو فاقوا في ما سواهُ الاقران واعترف بفضلهم الخافقان . ولذلك لم نقصد مقاومة ما لا تجدي المقاومة معهُ نفعاً ومعاكسة ما تسوق اليهِ الفطرة قسرًا وذم ما يستلزمهُ ترقي الحضارة جبرًا وانما قصدنا ذمّ ما تجاوز منهُ حدودهُ فاضرّ بالصحة وشرطهُ حفظها وخالف الذوق السليم وغايتهُ العظمى تحسينهُ وتهذيبهُ واستوجب هزء العقلاء وحثهُ ان يزيد متبعهُ كمالاً وظرفاً

اما ما يضرُّ من الزي بالصحة فكالشدّ الضيّق الذي يضغط الصدر ويضيّق على الاحشاء فيورث السقام ويعجّل بالردى . وكالاحذية الضيقة التي تضغط القدمين فتبلي لابسيها بالآلام المبرّحة إمّا من التواء الاصابع وتجمّعها بعضها على بعض فتتقرّح ويتغلّظ الجلد عليها فيؤلمها آلاماً شديدة . وإمّا من تحدّب الاظافر وتزولها في اللحم فتعذّب صاحبها عذاباً لا يطاق الى غير ذلك من العيوب التي يحدثها الذوق ويتألم بها الجسم . وكتطويل كعاب الاحذية وتقريبها من اواسط النعال وما يتأتى عنهُ من الاذى في العظام والتعب لاقل حركة وقبح المشية حتى يدبّ الاحداث دبيب الشيوخ كما يشاهدُ غير مرّة في مقالات سلفت

والزي سلطان على الناس لا يشبههُ سلطان فترى الفتاة الصغيرة النحيلة الجسم السريعة الاعتلال تخرج ايام البرد وعُتُها وذراعاها مكشوفة وساقاها لا يسترهما من البرد القارس الاّ الجراب الرقيق وقدماها لا يحفظهما من رطوبة الارض وبردها الاّ نعلان ارقّ من ثوبها الرقيق وترى اباها المعتزّ بيأسهِ الشاهق بصحة بنيتهِ وضخامة جسدهِ يخرج متمنطقاً بالملابس السميكة ومتلفّعاً بالاردية الوثيرة محتذياً اسمك النعال مغطّى العنق والذراعين كأنّ الطف البرد يؤذيهِ واقلّ الرطوبة يعلّهُ . كل ذلك حتى يقال عنهُ ان فلاناً لا يخل على اهل بيتهِ وفلانةً زوجتهُ من الطبقة الاولى بين اهل الزيّ فيستبدل الأب صحة ابنتهِ بكلام الناس وتقتل الامّ ابنتها عامداً في

هواها وغرورها . قيل ان بعض العقلاء لقي جارهُ يمشي صباح يوم بارد مع ابنتهِ وكان الأب صحيح الجسم متقلداً بالملابس خشية البرد وابنتهُ صغيرة ضئيلة الجسم صفراء الوجه مكشوفة العنق والذراعين محذية حذاء رقيقاً على ما وصفنا آنفاً . فقال له جارهُ أراك معتدل الجسم متوعك المزاج بخلاف ابنتك فعسى ان يكون عارضاً . قال ضاحكاً اني والحمد لله لم اعرف المرض في زماني وأراني اصح الناس جسماً ولكن ابنتي هذه قريبة من الاعتلال واخشى ان تكون قد ورثت السل من امها ألا ترى نحافة جسمها وصفرة وجهها أم يعيك عني عن ذلك . فقال جارهُ اني لم أعمَ عنهُ ولكن لما رأيتك متقلداً باللباس لا يمسك البرد ولا تتطرق اليك الرطوبة ورأيت ابنتك معرضة لها تمام التعرض كذبت عيني فحسبتك عليلاً وحسبتها صحيحة لان عهدي بالعقلاء التحفظ على العليل قبل الصحيح

والزي لا ينحصر على اللباس بل يعم العوائد والمشارب والاصطلاحات والصناعات وربما لم يخلُ منهُ عملٌ من اعمال البشر وقد اساء الناس فيهِ اي اساءة فضلوا عن منهاج الطبيعة تمام الضلال . ألا ترى اهل الزي ينامون ساعات اليقظة ويستيقظون ساعات النوم ويزورون حين يمشي الانسان العزلة ويعتزلون حين يمشي الزيارة ويأكلون وهم شباع . ويشربون وهم رواء . فكأن الزي قد جعل عيشهم نفصاً وانسهم وحشة وفراشهم مَدَراً وقلقاً فأبدل صفاءهم بالكدر وافراحهم بالانزاح

هذا قليلٌ من كثيرٍ مما يلحق بالصحة من اضرار الزي . واما مخالفتهُ للذوق السليم فتعداد الامثلة على ذلك يطول ولكن حسبنا ما هو شائع في هذه الايام من جذب الشعر وشدهِ وجمعهِ في قمة رأس المرأة حتى كأنها تودُّ اخفاءهُ عن العيون على حين يحكم كل ذي ذوقٍ سليم ان الشعر آية الجمال وان الجميل حقهُ الظهور لا الخفاء . وزد على ذلك ان هذا الزي آفة للشعر لان شدهُ وجذبهُ وليَّهُ وفتلهُ واكراههُ على الاجتماع في قمة الراس كلها امور مخالفة لطريق نموهِ وميلهِ الطبيعي فهي تضرُّ بجذورهِ وتكسر حريصلاتهِ فينال نموُّهُ ويكثر تساقطهُ وهذا من جملة الاسباب المحدثة للصلع بين متبعات الزي في هذا الايام . واكرهُ من ذلك ان ترتيب الشعر على هذه الصورة قد يذهب بالمناسبة اللازمة للجمال بين الراس والوجه والعنق والبدن في اكثر اللواتي يجريت عليهِ فانهُ اذا لاءم امرأة لا يلائم عشراً إما لانهُ يزيد حجم الراس ودقة العنق او لانهُ يبدي مساوئ العنق وينزع النسبة بين الخف والوجه الى غير ذلك من العيوب . ولو لم يكن حكم الزي على الناس اوَّل حكم يحكم بنفادون اليهِ صاغرين ويطيعون امرهُ غير منازعين لما امكن ان يشيع مثل هذا الزي بين متمدني المشرق والمغرب وهو زيٌّ قديم عند قبائل شتى من متوحشي افريقية

طالما ضحك منهُ المتمدنون وهزأوا باهلهِ وبذوقهم حتى قبض لهم ان يتنبسوهُ عنهم . وكأنهم أبوا ان يخلوا بشيء من شروط الاقتباس وخافوا ان يعيّرهم سود افريقية بان بشرتهم سوداء ذات لون واحد وبشرة البيض بيضاء وحمراء ذات لونين فدقوا الارز واكثروا من الاسفيداج وحكموا على مشيعات الزي ان يطلين الوجوه والاعناق طليًا حتى يشبهن تماثيل الجص هيئةً . فلا يفخر سود افريقية عليهنّ

الّا ان ذلك كلهُ مغتفر في جانب غيرهِ ممّا عمّ المشرق والمغرب في هذه الايام فرفعُ الشعر على ما وصفنا ربما حاول محبو الزي تسويغهُ باعذار قليلة مثل انهُ يختلف عن صاحبتهِ بعض التعب ويبقي الملابس نظيفة الى غير ذلك مما تستريح اليهِ المرأة حبها لزي . ولكن ترى ما المسوّغ لذاك القفص (التورنير) الذاهب بملاحة القد المحمل باعتدال القوام فقد افرغنا وطاب المتقدمين والمحدثين لنرى ابن كان اصلهُ وعمّن تمّ نقلهُ وفي محيلة مَن نشأ رسمهُ فلم نعثر الّا على قبيلة في جنوبي افريقية يعدها الافرنج من اشد القبائل توحشًا واكثرها قبحًا حيث بنو مؤخر الجسد نموًّا فاحشًا وقد صور ذلك كثيرون من الافرنج وعرضوهُ على علماء بلادهم استغرابًا واستهجانًا حال كونهِ طبيعيًّا غير متدورٍ لاهلهِ تركهُ . ثم ان الاجانب ينكرون على شعراء العرب ما في شعرهم من وصف الارداف فما بالهم اليوم قد خالفوا ما ألفوا فاخرجوا تصوُّر شعراء العرب من القوة الى الفعل وتقلدوا متوحشات (البشمن) ولم يستحيوا من النظر الى ما كانوا يستحيون من تصورهِ ومن الشبه باللواتي كنّ يجلن من الماء البصر على رسمهنّ . بل انهم يضحكون اليوم ممن ينكر ذلك عليهم ويعدونهُ فاسد الذوق متهتكًا في التمدن كما سبعدُّنا كثيرات من بنات المشرق اللواتي يتجرعنَ السم عن طيب نفس اذا قيل لهنّ ان تجرعهُ "آخر مودة" وينفقنَ آخر درهم على تعذيب انفسهنّ اذا قال لهنّ الافرنجي ان هذا التعذيب "آخر مودة جاءتنا من باريس"

واما ما يستوجب هزء العقلاء في الزي فهو كل ما خرج عن حدّ التعقل والاعتدال ولم يظهر لهُ شبهُ علّة يرتضي العقل بها . فمن ذلك ان اسكندر ذا القرنين اصابتهُ عاهة فاعوجّت عنقهُ فجعل كل مَن في بلاطهِ يمشي وقد ألوى عنقهُ تشبهًا بهِ ثم شاع ذلك زمانًا بين الناس . والملك ديونيسيوس الظالم كان قصير البصر جدًّا يعثر بما امامهُ فصار بطانتهُ وكل المترلين اليهِ اذا مشوا يلطمون ويدوسون بعضهم بعضًا ويعثرون بكل ما يكون في طريقهم تشبهًا بملكهم وتملقًا لهُ . وروى ديودورس ان الحبش كانوا اذا ملك عليهم ملك اعور او اعرج يقلعون عينهم ويكسرون سوقهم حتى يصيروا عورًا وعرجًا كملكهم

وكان الدون جون بن شارل الخامس عشر النمسوي يشط شعرهُ ويثنيهِ عن جبهتهِ على قفا رأسهِ

ليستر خصلة شعر قد نبتت بارزة في جانب رأسه كذنب الخنزير فلما ذهب واليًا الى اسبانيا جعل اهل ولايته يمشطون شعورهم كذلك نعم ولا يبعد انهُ هو اصل التمشيط الشائع في هذه الايام. وكانت أُمي امرأة الملك جيمس الاول تلبس طوقًا (قبَّة) عريضًا لستر دملاً في عنقها فتلدما في ذلك اكابر الانكليز واصاغرهم وصار زيًّا يظهر ويغيب الى ايامنا هذه. وقس على ما تقدم اقتداء اهالي المشرق بالمغرب في الزي اقتداء اعمى لا يراعون فيهِ زمانًا ولا شعبًا ولا مكانًا كأن اقتباس كل زي افرنجي ضربة لازب عليهم ولا يبالون بمالٍ ولا يرثون لمستقبل العيال حتى صار الحريص في ضنك واشبه متوسط الحال رجلاً في حكاية للايطاليين وهي. ان رجلاً خرج يركض في الازقة والشوارع عريانًا وقد حمل على كتفهِ اثوابًا من الانسجة فقال لهُ بعضهم لمَ لا تستتر بهذه الانسجة يامجنون قال ما انا بمجنون ولا قليل ادب وانما رابت الناس لا يتبعون زيًّا حتى استبدلوهُ باخر فخفت ان افصل هذه الانسجة على زي الآن فلا البسها حتى ينسخ ويجدد غيرهُ فانا اجري حتى ادرك غاية الازياء. فلا ملام ولا عتاب. فقال اجرِ فستدركها متى شاب الغراب

تصفية الماء

من الناس من يأتيهِ الماء من ينبوع غزير صافٍ خالٍ من كل الشوائب ومنهم من يستقي من نهر عكر او ترعة كثيرة الشوائب فلا يسوغ لهُ الماء ما لم يصفهِ كما يصفي اهل مصر ماءهم في الازيار المعروفة. فاذا لم يكن في الماء مواد سامَّة ذائبة فيهِ فهذه التصفية كافية لتنقيهِ من العكر ولكن اذا كان حاويًا اجسامًا آلية ذائبة فيهِ او جراثيم حية صغيرة فهذه التصفية لا تكفي لان الاجسام المذكورة تبقى فيهِ وتنزل معهُ من مسام الزير. وقد بحث بعضهم عن واسطة يصفَّى بها الماء من الشوائب وتكون سهلة قليلة النفقة حتى يمكن لكل احد ان يستعملها فوجد ان الواسطة الآتية تفي بالغرض وهي

ان يُثقب اناء من الشك ثقبًا صغيرًا قدر نصف قيراط ويلف بهِ انبوبة طولها نحو قيراط تسهيلاً لخروج الماء. ويوضع في اسفل هذا الاناء نحو اقتين او ثلاث من الحجارة المكررة الصغيرة بعد ان تغسل جيدًا حتى يصير علوها فيهِ نحو قيراطين. وتُبسط عليها خرقة من البلس او من الفلانلاً حتى تغطيها جيدًا. ثم يبسط عليها طبقة سمكها ثلثة قراريط او اربعة من الفحم الحيواني الذي حبوبهُ مثل حبوب البارود او البرغل ويوضع فوقها خرقة أُخرى من البلس او الفلانلاً ونحوها طبقة من الرمل النقي سمكها ثلاثة قراريط ثم خرقة أُخرى ثم طبقة من الحجارة سمكها قيراطان او ثلاثة

والماء المصفّى بهذه المصفاة يكون في اليوم الاوّل من استعمالها غير نقي فلا يُشرب والماء الذي يصفى بعد ذلك يكون نقيًّا جدًّا خاليًا من اكثر الاجسام الآلية . الاّ ان ما في المصفاة من فحم ورمل وحجارة ينوح فيجب نزعهُ وغسلهُ كل مدة

واذا ثبت ان في الماء اجسامًا آليّة سامة فالارجح ان هذه التصفية لا تكفي لتنقيتهِ منها كلها فلا بد من اغلائهِ قبل شربهِ

دواء لتقوية الشعر

يصنع هذا الدواء من نصف اوقية من خمر الذراح واوقية من ماء كولونية واوقية من ماء الورد تمزج معًا ويغسل الراس بماء فاتر وصابون ويدهن بهذا الدواء مرتين في النهار حتى يصل الى اصول الشعر . قيل انهُ ينمي الشعر ويطولهُ ويمنع سقوطهُ

غسول لابقاء الشعر اجعد

اغلِ درهمًا من بزر السفرجل في ٨٠ درهمًا من الماء عشر دقائق من الزمان ثم رشحهُ فالسيال المرشح هو الغسول المطلوب لابقاء الشعر على ما يراد او اتبع ٤٨ درهمًا من الكثيراء مدة ٢٠ ساعة في ٤ اقات من ماء الورد وحركهُ مرارًا كثيرة ثم رشحهُ بخرقة نظيفة واتركهُ اياماً ثم اعد عليهِ الترشيح واضف اليهِ ٤ دراهم من زيت الورد فذلك غسول احسن من الاول واطيب رائحة

اذا خفت ان ينفش (يبوخ) لون الشعر عن منديل بعد غسلهِ فاغمسهُ مدةً قبل غسلهِ في ماء قد اضيف الى كل ٤ اقات منهُ ملعقة صغيرة من مرارة الثور . او اغسلهُ بماء مشبّب بقليل من الشب الابيض

الكوكايين في الدوار البحري

ذكرنا في الجزء الثالث الماضي فائدة الكوكايين في منع الدوار البحري فاستعملهُ واحد من معارفنا وهو مسافر من بيروت الى الاسكندرية فنجاهُ من الدوار وكان النوء شديدًا . ثم قرأنا في الجرائد الافرنجية ان كثيرين استعملوهُ لهذه الغاية فثبت انهُ انفع علاج للدوار البحري كما انهُ نافع في منع قيء الوحام